

ومجموعة أخرى .. » ، وبما أن الحديث غبي الكتاب ينصب على الصراع العربي الإسرائيلي ، فإن الفصل الأول إذن ، يركز على « المستوى المجتمعي للصراع » . (ص ٩) . وإذا كان الصراع بمفهومه الواسع ، هو تصادم الإرادات والقوى ، بين خصمين ( أو أكثر ) ، بحيث يكون الهدف سيادة احد الخصمين على ارادة الآخر ، فهو يختلف اختلافا نوعيا عن مفهوم اخر للصراع وهو مفهوم المناقسة . فالهدف من المناقسة ليس « تحطيم الآخرين ، ولكن فقط سبقهم في الوصول الى غاية معينة » . فهذا إذن ، لا ينطبق على حالة الصراع العربي الإسرائيلي . ولكن الصراع قد يكون تصادما « على مستوى القيم وأساليب الحياة والأيديولوجيات » ، فحلبة الصراع هنا هي « عقول الناس وقلوبهم » . وقد يأخذ الصراع مظهر « التلاطم والتصادم اقتصاديا وتكنولوجيا » ، وهنا تصبح حلبة الصراع « هي الأسواق ومصادر المواد الخام والبيوت المالية » . ( ص ١٠ ) . وهذه المظاهر أيضا لا تنطبق على الصراع العربي الإسرائيلي .

إذن كيف يمكن تعريف الصراع العربي الإسرائيلي؟ يقول المؤلف انه الصراع الذي « تحكيمه الشمولية ذات الأبعاد الحضارية العامة » . وكلمة حضارة (culture) تعني هنا « أساليب الحياة ، والقيم والمعايير ، والتنظيم الاجتماعي ، وفلسفة مؤسساته ، ومستوى المجتمع ماديا ، وتراثه الآلي والتكنولوجي » . أي الحضارة هنا تعني كل ما هو موجود في المجتمع من خلق وإبداع وإنتاج أفراد هذا المجتمع .. سواء كان هذا الوجود ماديا أو روحيا » . فكل شيء خلقه الإنسان ، أو أنتجه ، هو عنصر من العناصر المكونة للحضارة . ( ص ١١ ) . إذن ، الصراع العربي الإسرائيلي هو من النوع الشمولي الحضاري العام . فهو ليس اقتتال على قطعة أرض ، ولكنه « تحدي عنصري عرقي ، وتصادم في القيم وأساليب الحياة ، وخلاف في تفسير التاريخ ، وتباين في إدارة وتنظيم الأفراد ، وتلاطم اقتصادي ، وسباق علمي وتكنولوجي .. الخ » . ( ص ١٢ ) .

بما أن الصياغات الماركسية - لمنظمة « ماتزبن من ناحية ، ولفضائل يسار المقاومة الفلسطينية من ناحية أخرى - « لا تستطيع في الواقع تقديم شروح كاملة لصراع معتد مثل الصراع العربي

عنصر هذا الصراع جاء باهتا وضيلا .

ابتداء من الفصل الخامس وانتهاء بالفصل الثامن ترد عناوين : « في حروب التحرير الشعبية » ، « الحرب الشعبية والتعبئة العالمية » ، « ومشكلات قيام جبهة وطنية فلسطينية » ، « فرانتز فانون وفلسفة العنف الثوري » . وهي عناوين لمحاضرات كان قد القاها المؤلف ونشرتها مجلة « دراسات عربية » خلال مراحل معينة . المهم ، انه من الصفحة ( ١٥٣ ) وحتى الصفحة ( ٢٤٣ ) - وهي الصفحات التي حوت الفصول الاربعة الاخيرة - كان يمكن الاستغناء عنها ، وتجنب الصاقها بكتاب « في سوسيولوجية الصراع العربي الإسرائيلي » . إذ ان كل عنوان من هذه الفصول يصلح لان يكون عنوان دراسة شاملة وواسعة تخرج في كتاب مستقبل ، كي تلعب هذه الدراسات - مجتمعة - دورا مساعدا في توفير الاساس امام أي دارس ، أو باحث ، عندما يحل عناصر الصراع عند الجانب العربي .

والآن ، مالذا جاء في فصول الكتاب التي نعتبرها عامة أكثر من غيرها ؟

● الفصل الأول ، تحت عنوان « في قوانين الصراع » ، من أفضل الفصول الاربعة ، ومن أكثرها أهمية ، على الرغم من انه « مقدمة نظرية » للفصول التي تليه ، وعلى الرغم من نصح المؤلف للقاريء « الذي يضيّق ذرعا بالنظريات ان يبدأ بالفصل الثاني ، ثم بعد الانتهاء من الفصول الأخرى يمكنه - أن أراد - ان يعود الى قراءة الفصل الأول » . ( من المقدمة ، ص ٨ ) . ونحن نرى انه لا يمكن تحقيق الهدف الذي صدر من أجله الكتاب ومن قراءة وفهم الفصل الأول بكامله ، والذي يقدم لنا بلباز مبسط دراسة نظرية لفهم قوانين الصراع بشكل عام . إذ ان الفصول الثلاثة التي تليه ، وجزءا من الفصل الأول ، ما هي الا التطبيق العملي - الى حد ما - للدراسة النظرية الواردة في الفصل الأول .

ما هي قوانين الصراع التي يتحدث عنها هذا الفصل ؟ بما ان هناك « مستويات عديدة للصراع .. » ، « صراع بين الأفراد .. وصراع بين الجماعات داخل المجتمع الواحد .. وصراع بين مجتمع وآخر ، او بين مجموعة مجتمعات